

الفقراء والسلطة بالمغرب خلال الحكم السعدي

Poor people and authority in Morocco during the Saadi rule

زين العابدين زريوح، (جامعة ابن طفيل/المغرب) zinelabidine83@hotmail.com

2021-05-31	تاريخ القبول	2020-03-01	تاريخ الاستلام
------------	--------------	------------	----------------

ملخص

ضمت فئة الفقراء شرائح اجتماعية واسعة استقرت في سفح الهرم الطبقي داخل مختلف الحضارات والدول التي مرت في كل بقاع العالم عبر التاريخ، وتعرضت للإقصاء على كافة المستويات رغم مساهماتها الوازنة والمتعددة داخل المجتمعات، هذه الحالة التي شهدتها كذلك مجتمعات المغرب الأقصى في الماضي تحت ظل جل الأنظمة والسلالات التي كانت في السلطة، ومنها الدولة السعدية(1510-1659م) التي عانى الفقراء تحت حكمها صوراً متعددة من التهميش، وهو ما تجلى من خلال مجموعة من العلاقات والتفاعلات التي كانت لها انعكاسات بالغة على مختلف الأصعدة. فبعد تشخيص واقع هذه الشريحة خلال الفترة المذكورة وأحوالها، يتضح حجم التهميش الذي تعرضت له على يد أمراء ورجال هذه السلطة وأجهزتها رغم عمل المصادر الرسمية على إقصائها، هذا التهميش الذي كان له تأثير على استقرار الحكم السعدي واستمراره. **كلمات مفتاحية:** الفقراء، السلطة، المغرب، الدولة السعدية، التهميش.

Abstract

The category of poor included wide social strata that settled at the foot of class pyramid within various civilizations and countries that have passed through all parts of world throughout history, and were subjected to exclusion at all levels, despite their important contributions within societies. This is the case that societies of the Far Maghreb also witnessed in the past under the shadow of most of dynasties that were in power, including the Saadian state(1510-1659) under which the poor suffered multiple forms of marginalization, which were manifested through a set of relationships and interactions and had severe repercussions at various levels. After diagnosing the reality of this population, it is clear the extent of marginalization that was subjected under this authority despite the work of official sources to exclude it, a marginalization that had an impact on stability and continuity of the Saadi rule.

Keywords: Poor people, power, Morocco, Saadian state, marginalization.

مقدمة

عرفت أوضاع الفقراء تغيرات واضحة خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخ المغرب مع بدايات القرن السادس عشر الميلادي، حيث شهدت البلاد حينها تدهورا كبيرا على المستويين الاقتصادي والاجتماعي بفعل الاحتلال الإيبيري والتمزق السياسي قبيل ظهور السعديين إلى غاية استقرارهم في الحكم، وما واكب ذلك من تحولات وأزمات مست سفح المجتمع، والتي أسهمت بدورها في تزايد حجم ظاهرة الفقر، وبالتالي تفاقم أعداد الفقراء الذين شكلوا أنصار الدعوة السعدية أملا في التخلص من سوء الأحوال المعيشية مع الدولة الوليدة. ورغم بعض الجهود التي قام بها السعديون خلال حكمهم الذي امتد ما بين سنتي 1510-1659م لصالح هذه الفئة، فإنها لم تكن كافية ولا قادرة على تحسين وضعيتها وعلاقتها بها، رغم ما تم تحصيله -فيما بعد- من موارد هائلة خلال عهد أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م)، مما تسبب في مجموعة من التوترات التي كان لها وقع كبير على مسار الدولة برمتها وعجل بانهيارها.

إشكالية الدراسة

يتناول البحث قضية فئة الفقراء التي تمثل جزءا عريضا من المهمشين الواقعين خارج سياق الاستفادة الاقتصادية والقرار السياسي في المغرب الحديث، وذلك خلال الفترة ما بين سنتي 1510-1659م بالتزامن مع حكم الدولة السعدية، وكذا الانعكاسات المترتبة عن مختلف أوجه العلاقة التي جمعت هذه الفئة بأجهزة السلطة والأطراف الأخرى التي تدخلت على خط هذه العلاقة وحاولت استغلالها لصالحها. وبناء على ذلك فإن الدراسة ستحاول الإجابة على مجموعة من التساؤلات المتمثلة فيما يلي:

- كيف كانت أوضاع الفقراء خلال الفترة السعدية 1510-1659م؟
- وأين تجلى دور السياسة السعدية في تفكير الأهالي؟ وهل قامت الدولة بأية مجهودات لتحسين أحوالهم؟
- وما هي الأطراف التي حاولت الاستفادة من تقصير الدولة في رعاية الفقراء؟ وهل كان لذلك الأمر أية انعكاسات سياسية؟

أهمية الدراسة وأهدافها

تتجلى أهمية الدراسة في سعيها لكشف النقاب عن جوانب مهمة من التاريخ المنسي أو المسكوت عنه الذي حاولت المصادر الرسمية أو غيرها إخفاءه، ومنه تاريخ العوام والمهمشين الذين يتمثلون أساسا في فئات الفقراء، والذين ظلت الروايات التاريخية عنهم جد خافتة أو شبه منعدمة، باستثناء بعض الإشارات التي جاءت من دون قصد وبشكل عفوي لدى كتاب المصادر الكلاسيكية، والذين كانوا في غالبيتهم من المثقفين المحيطين بفلك السلطة.

لذلك فهذه الدراسة تهدف إلى الوقوف على أحوال الفقراء خلال الفترة حكم الدولة السعدية (1510-1659م) بنوع من التفصيل، وطبيعة العلاقة التي جمعتهم مع النظام السياسي

لهذه الدولة وأدواتها، ومدى مساهمة ترسبات هذه العلاقة في تطور الأوضاع السياسية بالمغرب خلال هذه الفترة، وخصوصا العمل على الكشف عن دور الفقراء من الأهالي و تمرداتهم في انهيار هذه الدولة.

منهج الدراسة

ترتكز الدراسة في البحث عن وضعية الطبقات الفقيرة داخل المجتمع المغربي خلال العصر السعدي وعلاقتها بالسلطة وأجهزتها باستخدام المنهج الاجتماعي التاريخي، وذلك انطلاقا من أدوات تاريخ المهمشين، ومنها آليات البحث التي ارتكزت عليها عدة مدارس متخصصة في هذه المجال من البحث التاريخي مثل: التاريخ من أسفل وتاريخ الهامش، وهي الأدوات التي يمكن من خلالها ضبط وتشخيص أحوال الفقراء وتطورات تفاعلاتهم مع رجال وأجهزة الحكم السعدي، بعيدا عن نظرة التاريخ الرسمي الذي يمثل رواية السلطة نفسها ويتجاهل الروايات التاريخية التي تتطرق لباقي الفئات الاجتماعية، ولاسيما حياة ومواقف الطبقات الفقيرة منها.

أولا: وضعية الفقراء خلال الفترة السعدية 1510-1659م

لم ينل الفقراء حظهم من التأريخ من لدن الكتابات التقليدية السعدية التي تحاشت ذكرهم، وذلك على اعتبار أنهم يقعون على هامش المجتمع وأنهم من غير ذوي فاعلية سياسية واقتصادية واضحة، عل الرغم من اتساع قواعدهم الاجتماعية خلال هذه الفترة، ودورهم الحقيقي والأساسي في العجلة الاقتصادية والحركة السياسية، لأنهم في الواقع كانوا يشكلون معظم القوى المنتجة داخل المجتمع وأهم داعمي دعوات التغيير السياسي وجنوده على مرور التاريخ، وهم الذين أسماهم محمد استيتو بالمغيبين أو منسيي التاريخ الذين يمثلون قاعدة "عامة العامة" (استيتو، 2006، ص. 5).

والفقير - حسب الرأي الفقهي - هو كل من لا يكسب قوت يومه وتجب فيه الصدقة والزكاة (العيساوي، 2001، ص. 152). وقد مثل الفقراء أغلبية سكان المغرب خلال العصر السعدي، حيث كان حضورهم واسعا عبر المجال الجغرافي للبلاد وفي عدة مناطق، خصوصا في المناطق الجبلية مثل منطقة الريف (كربخال، 1984، أ، ص. 229)، وكذا بين معظم سكان منطقة "تامسنا" الذين عانوا من الفقر (كربخال، 1984، أ، ص. 132) بسبب ضعف النشاط الزراعي، وكذا إقليم "الهبط" (حركات، 1987، ص. 31)، والمنطقة الممتدة بين فاس والأطلس الكبير حيث استقرت مجموعات من الأعراب البدو الذين عاشوا على الترحال ورعي الماشية (كربخال، 1984، أ، ص. 134). وكذا جبال إقليم مراكش، ومنها جبل "دادس" الذي كان سكانه أهله في غاية البؤس والقذارة من شدة الفقر (كربخال، 1984، أ، ص. 123). إضافة إلى جبال إقليم سوس، مثل جبل "الحديد" الذي كان عيش أغلب سكانه بين الصخور على الكلا والفواكه البرية (كربخال، 1984، أ، ص. 26)، وكذا جبل "هنكيسة" الذي كان أهله يسيرون عراة تقريبا وبدون نعال (كربخال، 1984، أ، ص. 39-40). كما كان الفقر حاضرا بحددة في قرى "تادلا" التي لم يكن سكانها يجدون ما يقتاتون

به (RICARD, 1957, p. 187)، إلى جانب المناطق الصحراوية التي كان وسطها الطبيعي الفقير مجالا خصبا لانتشار الفقر بفعل انعدام المواد الفلاحية، الشيء الذي يفسر حالة العوز لدى ساكنة الصحراء (كربخال، 1984، ب، ص. 144).

ولم يقتصر وجود الفقراء على القرى والجبال والمناطق النائية والصحراوية فقط، بل تواجد هؤلاء أيضا داخل هوامش المدن الكبرى على غرار أطراف مدينة فاس، حيث كانوا يتعاطون مختلف الأنشطة غير الشرعية لضمان قوتهم بعيدا عن أعين رجال السلطة (كربخال، 1984، أ، ص. 160)، ومنهم من مارس التسول بأماكن العبادة والأضرحة والمقابر والأسواق وبالطرق (استيتو، 2006، ص. 38-39). أضف إلى هؤلاء مجموعات كبيرة من السكان التي أصبحت في وضعية عوز نتيجة الحروب والكوارث والمجاعات والأزمات السياسية (بوزيان بنعلي، 2005، ص. 55).

ودلت عدة قرائن على هذا الوضع المزري الذي عاشه فقراء هذه الفترة، وذلك من خلال أسلوب العيش الذي اتسم بكثير من مظاهر البؤس والقسوة، والتي تجلت بالأساس في رداءة المسكن والمطعم والملبس، إذ كان معظم الفقراء يسكنون في منازل وضيعة مبنية من الطين ولحاء الأشجار (كربخال، 1984، أ، ص. 229) أو داخل الأكواخ (كربخال، 1984، أ، ص. 134) أو الكهوف (كربخال، 1984، أ، ص. 123). كما كان طعامهم خشنا مكونا من "العصيدة" التي تهيأ من الماء ودقيق الشعير (الوزان، 1983، ص. 96)، مع "الكسكس" الرخيص الثمن (كربخال، 1984، أ، ص. 178)، وكانوا يلجؤون في بعض المناطق الريفية الفقيرة إلى تناول حساء الفول (استيتو، 1999، ص. 25). أما اللحم فلا يأكلونه إلا مرتين في الأسبوع في أفضل الأحوال (كربخال، 1984، أ، ص. 178)، خاصة لحم الماعز (الوزان، 1983، ص. 106). أما اللباس فكان أغلبه رديئا ومن الصوف (الوزان، 1983، ص. 97)، وإن كان بعض الفقراء في عدد من المناطق يمشون شبه عراة لا يكادون يسترون أنفسهم من شدة الفاقة (كربخال، 1984، أ، ص. 39-40).

ثانيا: دور السياسة السعودية في تفجير الأهالي رغم مجهودات بعض الأمراء

لعبت السلطة السعودية دورا مهما في حالة الفقر التي كان يعيشها معظم الأهالي المغاربة عبر ربوع البلاد تحت حكمهم، وذلك نظرا لمجموعة من السياسات وعلى رأسها السياسة الضريبية المجحفة والمتشددة، وكذا الغرامات والعقوبات المطبقة من طرف معظم السلاطين السعوديين، والتي كانت تجبى بالقوة والقهر في أغلب الأحيان، حيث كانت هذه الضرائب والغرامات تعمل على تحويل حتى الأغنياء من السكان إلى معوزين (ص الدانيا، 2011، ص. 23، ديطوريس، 1988، ص. 218)، وإرجاع العمال والقواد السياسيين والعسكريين -العامين في خدمة الدولة نفسها- مفلسين (أبو إدريس، 2000، ص. 74، RICARD, 1957 p. 195)، بل و"يعيشون عيشة الفقراء" (كربخال، 1984، أ، ص. 249).

وتحضر في هذا الإطار مجموعة من النماذج التي تدل على هذه السياسة الجبائية السعودية التي تسببت في وصول السكان إلى حافة العوز، منها تحول سكان عدد من المناطق الغنية إلى

فقراء بسبب ثقل الضرائب، مثل "مهديّة" بالأطلس (كربخال، 1984، أ.ص. 276). وذلك بفعل التطور الذي عرفته جباية الدولة وتصادد حدتها وقيمتها بشكل تدريجي، وذلك انطلاقاً من أول ضريبة فرضت مع البدايات الأولى للدعوة السعدية بسوس الأقصى حينما أمر مؤسس الدولة القائم بأمر الله (1510-1517م) الأهالي بأداء بيضة عن كل أسرة، ثم حولها إلى بيضة ودرهم، حتى "اجتمع له مال وافر أصلح به شأنه وقوي به جيشه" (الإفراني، 1998، ص. 89)، إلى أن ازدادت الضرائب قيمة وشدة على عهد محمد الشيخ المهدي (1540-1557م) الذي فرض الضريبة المسماة على السن العامة بـ"النائبة"، والتي شكلت إجحافاً كبيراً في حق هذه الفئة، واستمر العمل بها في عهد ابنه عبد الله الغالب وعبد الملك المعتمد، واشتدت وطأتها في عهد أحمد المنصور (الإفراني، 1998، ص. 86)، رغم إعفاء بعض القبائل من هذه الضريبة في مقابل الخدمة العسكرية (DZIUBINSKI, 1972, p. 65). وكانت قيمتها صفحة شعير وعشرين صاعاً عن كل بيت، وأن تؤدي أربع ساعات زُبداً وخروفاً عن كل أربع أسر مجتمعة، ثم حولها المنصور الذهبي لضريبة نقدية (حركات، 1987، ص. 59). هذا السلطان الأخير الذي شكلت الضرائب أهم مداخل دولته، وكانت تجبى بالقوة ويجابه المتعنتون من أدائها بحملات عسكرية عنيفة ومتوحشة (RICARD, 1957 p. 194).

فقد كان أغلب الأهالي يخضعون لقبضة السلاطين وتحركات الجيش وجباة الضرائب، بينما اندفع سكان القبائل الأكثر فقراً للفرار إلى المناطق النائية والجبلية هرباً من أداء الضرائب والغرامات التي لا يملكون قيمتها، لأنه ليس لديهم ما يقدمونه لجيش الدولة أصلاً، كما حدث لبعض قبائل سوس الأقصى، مثل أهل "جبل الصوابين" الذين هربوا من أداء ما فرضه عليهم السلطان المنصور من توظيفات اشتملت على بيض الدجاج فقط، نظراً لشدة فقرهم، غير أن هذا السلطان بدلاً عن مسامحتهم لجأ إلى الدعاء عليهم لانعدام حيلته معهم بسبب صعوبة التضاريس التي لم تساعد على اللحاق بهم (الحساني، 1989، ص. 25-26)، على الرغم من أن ساكنة هذه المناطق كانت من بين أول من ساندوا الدعوة السعدية. بل حتى منطقة "أقا" التي شهدت انطلاقاً مؤسس الدولة القائم بأمر الله السعدي ظلت محتضنة لمظاهر العوز والبؤس (كربخال، 1984، أ.ص. 144)، مع العلم أن السعديين قاموا باستغلال مناجم هذه المنطقة من النحاس الذي عاد عليهم بالأرباح الطائلة في مبادلتها بذهب السودان الغربي (روزنبرجي و التريكي، 2010، ص. 61).

وإذا لجأ فقراء المناطق الجبلية للعصيان والتهرب من أداء الضرائب استغلالاً للتضاريس الوعرة، كان آخرون في غير وضعيتهم يضطرون إلى الخضوع لأدائها بالعاصمة مراكش (أبو إدريس، 2000، ص. 76). على الرغم من أن الدولة كانت في بعض الأحيان تعترف بالأمر الواقع وتعفي القبائل المتمردة مقابل ضمان ولائها وعدم الخروج عليها، وتلافياً لتوظيفها من قبل المعارضين للدولة (كربخال، 1984، أ.ص. 286-288). لكن العقاب كان يصل إلى غاية قطع الرؤوس في حال وصول يدها إلى هؤلاء المتمردين، مثلما حدث مع أحد عشر شيخاً من قبائل الأطلس

الكبير الذين قطعت رؤوسهم وسط السوق نظير رفضهم للإتاوات خلال حكم محمد الشيخ المهدي (ديطوريس، 1988، ص. 120).

وعلى العكس من كل ما سبق، فإن الأمراء السعوديين الأوائل-على الأقل- قد أظهروا نوعاً من اللين والرفق تجاه بعض الأوساط من الفقراء بداية أمرهم، وذلك نتيجة متطلبات دعوة الإمارة الوليدة، حيث خصصوا جزءاً من مداخيلهم لمحاربة المجاعات وتخفيف وطأتها على هذه الفئة (روزنبرجي و التريكي، 2010، ص. 61)، إذ أنهم لم يألوا جهداً في سبيل توفير المؤن بأسعار معقولة، فكان الأهالي الذين هم تحت سلطتهم ونفوذهم بالجنوب أفضل المغاربة طعاماً خلال المجاعة القاسية التي حدثت ما بين سنتي 1521-1522م (روزنبرجي و التريكي، 2010، ص. 41)، في وقت دفعت فيه حدة هذه المجاعة الناس في مناطق مغربية أخرى بالشمال الرجل أو المرأة لبيع أبنائهما (RIVET, 2012, p.197-198) أو أن يبيعا نفسيهما مقابل كسرة خبز (كربخال، 1984، ص. 100)، أو اعتناق المسيحية لإنقاذ أرواحهم بدل الموت جوعاً (RIVET, 2012, p.215). إلا أن التوسعات السعودية نفسها ساهمت هي الأخرى بنصيبها في هذه الوضعية المزرية بسبب الحروب التي نتجت عنها (كربخال، 1984، ص. 100).

وتتمثل المفارقة هنا أن الدولة السعودية تراجعت عن مثل هذه المساعدات الموجهة للفقراء، أو حتى التدخلات التي تسعى لحمايتهم من سوء الأوضاع المعيشية، وذلك على الرغم من أنها أصبحت بعدها تعيش وضعاً يتسم بالاستقرار والازدهار، إذ أن السعوديين-خلال فترة انتعاشهم الاقتصادي- لم يقوموا من جانبهم بجهود واضحة لمعالجة إشكالات الفقر، لاسيما عقب الانتصار في معركة وادي المخازن سنة 1578م ضد البرتغاليين وما تحقق منه لدولة أحمد المنصور من غنائم هائلة، إلى جانب عائدات القوافل الصحراوية بعد ضم السودان سنة 1591م، وكذا الرواج التجاري الكبير المتحقق مع دول القارة الأوروبية، فإن كل هذه المداخيل ظلت بعيدة عن تحسين وضع الفقراء بالبلاد، بل استمر هؤلاء في معاناتهم واستمرت ظاهرة الفقر في التواجد والانتشار خاصة مع عدم استفادة الفئات المهمشة من هذه الثروات واشتداد التحصيل الضريبي، هذا مع إحداث نظارة خاصة بأوقاف الضعفاء والمساكين في عهد هذا السلطان، الذي يذكر عنه أحمد بن القاضي (ت1025هـ/1616م) أنه كان "من دأبه في كل أربعة أشهر يخرج بستة آلاف أوقية- ذهباً- للضعفاء والمساكين، ليرفع بذلك الفقر عن فقراء مصره ومحتاجي عصره" (ابن القاضي، 1986، ص. 346)، لكن ذلك لم يكن يحدث إلا إذا وقف السلطان على بعض الحالات التي وصل خبرها إليه من أعينه، ورغم إسناد مهمة النظارة للمفتين مثل مفتي فاس وخطيب القرويين يحيى السراج (ت1008هـ/1599م) (بنعلة، 2007، ص. 224 - 225) والإمام محمد القصار (ت1012هـ/1603م) (الإفراني، 2004، ص. 63)، مع تحري علم ودين من يتم تقليده هذه المهمة في محاولة لحفظ أموال هذه الأوقاف (القادي، 1977، ص. 70)، إلا أن استفاد هذه المرافق التابعة للأوقاف كان يستغل في إصلاحها ويوزع الباقي على المعنيين من الضعفاء والمساكين (بنعلة، 2007، ص. 226). كما أن الأوقاف الموكلة برعاية هذه الفئات كانت عرضة

لهيمنة وتداول الأمراء السعديين، ولاسيما السلطان محمد الشيخ المهدي الذي استحوذ على أملاك الأحباس ومواردها في عهده (ديطوريس، 1988، ص. 187 - 188. كربخال، 1984، أ.ص. 147)، حتى أصبحت الأماكن المخصصة لإطعام المساكين والاهتمام بهم أفقر من أن تقوم بذلك وعاجزة عن الاضطلاع بوظائفها (كربخال، 1984، أ.ص. 147).

كما أن التطاول على موارد الأوقاف عموماً لم يكن أمراً غريباً (التمنارتي، 2007، ص. 101)، ولم يكن صاحبه معرضاً دائماً للمحاسبة والعقاب، مثلما تجاوز المنصور عن سرقة أموال الأحباس من طرف محمد بن عبد الرحمان سقين، ومنع محاسبته لكونه ابن شيخ شيخه رضوان الجنوبي (ت 991هـ/1583م) (ابن القاضي، 1986، ص. 570). هذا الترامي الذي كان معروفاً كذلك حتى قبل عصر هذا السلطان (بنعله، 1989، ص. 65)، وتزايدت حدته وأصبح أمراً متداولاً بين صفوف رجال الدولة بعد وفاته خلال فترة الفوضى والاضطراب السياسي أواخر حكم الدولة السعدية (بنعله، 2007، ص. 226). وهو ما كان يدفع قاضي تارودانت سعيد الهوزالي (ت 1001هـ/1592م) إلى عدم توفير أموال أحباس سوس مخافة التسلط عليها (التمنارتي، 2007، ص. 101). كما أن حضور نظارة أوقاف الضعفاء والمساكين اقتصر أساساً على المدن الكبرى كفاس ومراكش (بنعله، 2007، ص. 225)، وبعض المدن الأخرى كتطوان حيث نجد ذكراً لأحباس المساكين (ابن عبود، 1996، ص. 31)، بينما ظلت باقي المناطق الأكثر فقراً محرومة من هذه الخدمات. مع العلم أن معظم هذه الأوقاف وهبت من أناس عادييين من مختلف الطبقات لصالح المرافق الاجتماعية والدينية، وذلك رغم الشك الذي حام حول مدى تحقق الهدف من هذه الأوقاف واستفادة الفئة المستهدفة منها (بنعله، 2007، ص. 224).

ومع ذلك، وفي ظل الاستثناء، فقد أقدم عدد من السلاطين السعديين (بنعله، 1989، ص. 59) أو من أفراد عائلتهم مثل أم المنصور مسعودة الوزكيتية (ابن القاضي، 1986، ص. 256-257) على تحبيس بعض الممتلكات وحمايتها (بنعله، 1989، ص. 60-61)، سواء لفائدة المساكين والفقراء أو المؤسسات الدينية، وإن اختلفت أهدافهم من وراء ذلك ما بين السعي للحد من خطورة الصراع الطبقي والحدق الاجتماعي، أو المنافسة والتفاخر لكسب أكبر قدر ممكن من التأييد الشعبي، لا سيما خلال فترات الصراع حول الحكم (بنعله، 1989، ص. 59)، أو للتكفير عن انتهاك حرمة من حرمت الدين (الناصري، 2001، ص. 118).

ثالثاً: دور المتصوفة وأطراف أخرى في الرعاية الاجتماعية للفقراء في ظل تقصير الدولة

ومخلفاته السياسية

في ظل تقصير الدولة السعدية في العناية بالضعفاء والمساكين أو تدبير الأوقاف المخصصة لهم، تدخلت أطراف أخرى لسد هذا الفراغ، بل وربما لاستغلال الأمر من أجل اكتساب شعبية داخل قطاعات واسعة من المجتمع الذي يكتسحه الفقراء، سواء لتقوية أعداد الأتباع أو الإعداد لمشروع سياسي منافس، خصوصاً مع عودة الفوضى السياسية عقب وفاة المنصور

الذهبي سنة 1603م. وعلى رأسها مشايخ الصوفية وزواياهم، الذين أولوا اهتماما وتعاطفا كبيرين مع هذه الفئة، أكثر بكثير مما أولته السلطة لها، وكانوا أكثر قربا منهم، بحكم أن عددا كبيرا منهم ومن مريديهم كان من الفقراء، حتى أن المتصوفة كانوا يسمون بالفقراء (ابن عسكر، 1977، ص. 7)، وارتبط التصوف بالفقر (الإفراني، 2004، ص. 88)، وكانوا يعيشون أحوال الفقراء مثل الشيخ سعيد بن أبي بكر المَشْتَرَأِي الذي كان لا يلبس سوى مرقعة خشنة وقلنسوة من الصوف (ابن عسكر، 1977، ص. 77)، كما كان حال الزهد يدفعهم لأكل الكلاً والثمار البرية (كربخال، 1984، أ.ص. 105).

وتورد المصادر عدة أمثلة لمتصوفة كرسوا أنفسهم وممتلكاتهم لخدمة الفقراء، على غرار الشيخ محمد أبي الرواين الذي كان "يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين" (ابن عسكر، 1977، ص. 79)، وسعيد بن أبي بكر المَشْتَرَأِي السالف الذكر، الذي كان يطعم أعدادا كبيرة منهم بزوايته كل يوم (ابن عسكر، 1977، ص. 77)، وعبد الله الغزواني (ت935هـ/1528م) الذي كان "يدفع كل ما يأتيه من أسباب الدنيا لذوي الحاجات" (ابن عسكر، 1977، ص. 97). وأبو المحاسن يوسف الفاسي (ت1013هـ/1604م) الذي كان جوادا كثير المعروف يعول ديارا كثيرة من الضعفاء والمساكين ويؤدي ديونهم (الفاسي، 2008، ص. 99-100)، ويأخذ الهبات والهدايا من الولاة وغيرهم من رجال السلطة ويتصدق بها عليهم (الفاسي، 2008، ص. 103)، ويكثر لهم الطعام وذخائر القمح (الفاسي، 2008، ص. 145، 147). ومحمد بن وسعدان (ت997هـ/1588م) الذي كان "رؤوفا بالضعفة والمساكين"، وكانوا يأكلون بزوايته أربع مرات في اليوم لمدة أربعين سنة (الإفراني، 2004، ص. 238-239). إلى درجة أن بعضهم كان يطعم ما يزيد عن 12500 مسكينا دفعة واحدة ويذبح لهم المئات من رؤوس الماشية، مثلما كان يحدث في زاوية الشيخ عبد الله الأمغاري (ت976هـ/1568م) (ابن عسكر، 1977، ص. 107).

كما روج المتصوفة -إلى جانب ما سبق- لكرامات إطعام الفقراء والجوعى حتى في أيام الغلاء والمجاعات والقدرة على حل مشكلة قلة الغذاء والمؤن (الإفراني، 2004، ص. 100، 107)، خاصة وأن الفقراء كانوا أكثر الناس تضررا أثناء المجاعات والأوبئة (روزنبرجي و التريكي، 2010، ص. 94)، وذلك عن طريق إيجاد الطعام من عدم وتزكيتة (الإفراني، 2004، ص. 103)، في وقت اضطر فيه فقراء بعض المناطق إلى أكل الحيوانات أو الحشرات (استيتو، 1999، ص. 30، 51). وادعوا كذلك القدرة على تخليص الفقراء من فقرهم، حتى ولو كان ذلك عن طريق التبشير بالموت الذي مثل بالنسبة للفقراء نهاية المعاناة مع العوز، ونسبوا لأنفسهم أيضا امتلاك أسباب الرزق مثل الشيخ محمد الشرقي (ت1010هـ/1601م) (الإفراني، 2004، ص. 72)، وتنمية المال (التمنارتي، 2007، ص. 190)، وعملوا -وإن بشكل رمزي- على مساواة السلاطين بالمساكين (الإفراني، 2004، ص. 123). كما سمحوا لهذه الفئة بالتسول باسمهم، مثل فقراء مراکش الذين كانوا يطلبون الصدقة عبر الأزقة باسم عبد الله بن ساسي (ت961هـ/1554م) (ديطوريس، 1988، ص. 108). أو على الأقل قدموا لهم خدمة الدعاء (بوزيان بنعلي، 2005، ص. 55).

ولا ننسى أيضا حالات من التضامن الأفقي ما بين عامة الناس أنفسهم الذين كانوا يشرفون على عدد من ملاجئ الفقراء، حيث وُجد في منطقة "تَدُنِسْت" بجهة حاحا مثلا ملجأ لإيواء الفقراء وإطعامهم، وكذا أربعة أخرى مماثلة بمنطقة "تكوليت" (الوزان، 1983، ص. 99-100). فيما انتظر آخرون حظهم من زكاة الميسورين (العبادي، 1999، ص. 153، 155). كما تنافست فئات اجتماعية أخرى من مختلف المستويات في أعمال البر ومساعدة المحتاجين، نتيجة كثرة فتاوي الفقهاء والمشايخ في الحث على مواسة ومساعدة المساكين، والإثم في حال عدم القيام بذلك، على غرار أقوال أحمد بن عرضون(ت992هـ/1584م) والشيخ عبد القادر الفاسي(ت1091هـ/1680م)، مما يدل على الاهتمام المجتمعي بفئة الفقراء، حيث خصص البعض حصصا محددة لهذه الفئة من بين أوقافهم، والتي ضمت عقارات تجارية وفلاحية وصناعية وسكنية(بنعلة، 2007، ص. 224)، إلى جانب مدارس خصصت لأبناء المساكين مثل "مسيد المساكين" بتطوان(ابن عبود، 1996، ص. 28، 31).

ولعل هذه السياسة التي نهجها المتصوفة بالأساس تجاه الفقراء، جعلت لهم نفوذا كبيرا على هذه الفئة العريضة من المجتمع السعودي، وخلقت توجسا لدى السلطة التي ما لبثت تنافس على نصيبها من هذا النفوذ. حيث أن فشل الدولة في جلب هذه الفئة لصفها دفعها لأن تكون دائما على استعداد للتمرد والانتفاض على سلطتها وضرائبها المجحفة، إذ ظل السلاطين السعوديون في عليائهم بعيدا عن هذه الفئة المهمشة التي عاشت في الحضيض، باستثناء أحد أواخر الأمراء السعوديين، وهو محمد بن الشيخ بن زيدان بن المنصور(1636-1654م) الذي شاع عنه أنه كان محبا للفقراء والمساكين (مجهول، 1994، ص. 105). وخلا الاهتمام اليسير الذي حظيت به في بعض المناسبات كعقد البيعة(مجهول، 1994، ص. 48)، والاحتفال بعيد المولد النبوي أو عاشوراء، خاصة خلال فترة حكم أحمد المنصور، وذلك بشكل يمس العاصمة مراكش فقط، وبطريقة تنم عن السخرية والتنقيص من قيمة المساكين والضعفاء، إذ كانت بعض العناصر من العامة الفقراء تثير ضحك المنصور بسبب تهاكها في تناوش واختطاف الحلوى التي تطرح في الصحون، أما من هم أدنى درجة من المساكين وأصحاب ذوي الحاجات فيتركون "محوّمين" على أبواب القصر، فلا يؤذن لهم إلا بعد انفضاض المجلس وجمهور الناس لتناول ما فُضّلَ وبقي من الطعام بفضاء الإيوان(الفشتالي، 1972، ص. 251-252).

رابعا: تدهور العلاقة ما بين السلطة السعودية والفقراء ومساهمته في انهيار الدولة

على الرغم من الازدهار الاقتصادي والمداخل الهائلة التي عرفتها دولة المنصور الذي يعد أقوى وأبزر سلطان سعودي وأكثرهم غنى وثروة، ظل العديد من الأهالي -لاسيما في القرى- على درجة كبيرة من التعاسة والفقر، حتى أن بعضهم كانوا من شدة الفقر لا يأكلون إلا طحين نبات السدر(RICARD, 1957, p. 187). إذ أن أسلوب الاستبداد بموارد البلاد ومقدرات البسطاء ليس بغريب على المنصور، الذي وصفه مؤرخه ووزيره عبد العزيز الفشتالي (ت1031هـ /1621م) أنه كان "جماعا للأموال"(الفشتالي، 1972، ص. 25)، وهذا ما يتماشى مع السياسة الاقتصادية للدولة

السعودية القائمة على احتكار التجارة وإرهاق عامة البوادي بالضرائب اعتمادا على ضمان استقرار الفلاحين وقبائلهم(الناجي، 2004، ص. 44). رغم أن البعض برر هذا الإرهاق الضريبي بالحاجيات المتزايدة للدولة المركزية القوية التي أسس لها المنصور (القبلي وآخرون، 2011، ص. 387). كما استفادت عناصر أخرى من دون العوام الفقراء إلى جانب المنصور -ولو بتفاوت- من الرواج الاقتصادي خلال فترة حكمه وبعدها، بفضل ارتباط مصالحها بمصالح السلطة ونخبها، وعلى رأسها بعض اليهود الذين سيطروا على التجارة المغربية كتجارة السكر وملح البارود والتبغ وغيرها (حركات، 1978، ص. 431). ونافسهم في احتكار التجارة بعض الأوربيين الذين تمتعوا بامتيازات مهمة، وعلى رأسهم الإنجليز ثم الهولنديين (CALLE, 1963, p. 6)، وتفاقم ذلك بعد وفاة هذا السلطان، خاصة تحت حكم ابنه زيدان الذي مكن بعضهم من الإشراف على الموانئ واحتكار تجارة أهم المواد، وشارك بعضهم في ترويح الأقمشة الإنجليزية داخل البلاد (BEN ALI, 1983, p. 279-280). إلى جانب الطبقة الاقطاعية المتكونة من المرابطين والشرفاء وغيرهم، والتي عملت على استغلال فقراء البوادي من خلال العمل داخل الإقطاعات بالمجان، أو تقديم القرابين والهدايا لهم (BEN ALI, 1983, p. 151).

وازدادت العلاقة بين الدولة السعودية وهذه الفئة سوءا خلال عهد أبناء المنصور، حيث كان قواد الأمير زيدان بن المنصور (1603-1627م) في بعض المناطق -رغم تبرئه من أفعالهم في إحدى رسائله- يلزمون المساكين بفريضة خدمة السواقي ويترامون إلى جانب القضاة على أموالهم وممتلكاتهم (التمنارتي، 2007، ص. 532-533)، بل وكان يفرض على الفقراء الالتحاق عنوة بالجيش لعدم قدرتهم على سداد الجبايات (دي هنين، 1997، ص. 134). وعظم ذلك في مناطق نفوذ محمد الشيخ المامون بن المنصور (ت1022هـ/1613م) الذي كان "يضر بالمساكين" (مجهول، 1994، ص. 69).

وعمقت المجاعات والأوبئة التي ضربت البلاد ما بين 1597-1608م وما بعدها من معاناة الفقراء (RIVET, 2012, p. 215)، خاصة وأنهم كانوا من أكثر الفئات تضررا من الكوارث التي أصابت المغرب خلال العهد السعودي (المنصوري، 1989، ص. 174)، لما يترافق معها من ارتفاع لمستوى المعيشة، فلا يستطيعون مسايرة الوضع في ظل ضعف إمكانياتهم (حركات، 1987، ص. 416). ثم تضاعفت أعدادهم بعدما عمت البلاد حالة من البؤس بفعل الجوع والوباء والحرب (DE CASTRIES, 1906, p. 283)، بما فيها ذلك داخل مناطق الإمارات المستقلة -على غرار إمارة يحيى الحاحي(ت1035هـ/1626م) بالسوس- التي رفعت شعارات الإصلاح، حيث عرفت هي الأخرى تبيذيرا وضياعا لأموال الأحباس، رغم إعادة تنظيم شؤونها بعدما كانت معطلة بالمطلق، وذلك أكثر مما كان يحدث تحت الحكم السعودي زمن الاستقرار(التمنارتي، 2007، ص. 364-365)، حيث استمرت معاناة الفقراء والمساكين والإضرار بهم رغم الآمال التي عقدوها على تغير الحكام (التمنارتي، 2007، ص. 434-435).

فقد جعلت السياسة السعدية -التي قامت على الشدة في الجباية- الفقراء في حالة من التعاسة ودفعت حتى الأغنياء إلى العيش في العوز، مما كان يدفع هؤلاء لاستغلال أية فرصة للتمرد والثورة في وجه السلطة خلال عدة مناسبات(دي صالدانيا،2011، ص. 23)، وفي مقدمتها الامتعاض الناتج عن الامتيازات التي تحصلت عليها بعض الفئات المقربة من المنصور مثل الأجانب واليهود، وكذا استحواذ هذا الأخير على أراضي الفلاحين البسطاء واستغلالهم -منذ أسلافه- للعمل بمصانع السكر(أبو إدريس، 2000، ص. 57)، مثلما حصل في ثورة الأطلس سنة 1583م من مهاجمة لمعاصر السكر ونهب للتجار اليهود المشرفين عليها، لِمَا اقترنت به هذه الصناعة من استحواذ على أراضي الأهالي لغرس قصب السكر(دي صالدانيا،2011، ص. 72).

وستكون هذه الانتفاضات أكثر قوة وتدميرا بعد وفاة المنصور، حيث سارع الفقراء المهمشون إلى العمل على استرجاع حقوقهم الاقتصادية المسلوقة عن طريق أعمال النهب، إذ "حصلوا على الثروات التي كانت في الماضي من حق الملوك وكبار الأغنياء"(دي هنين، 1997، ص. 204)، ولاسيما العاصمة مراكش التي تعرضت لعدة حملات نهب من البدو الفقراء المستقرين في الجبال القريبة منها إلى درجة سرقة ممتلكات ولوازم منازل الأثرياء والسقايات العمومية، وأقدموا أيضا على مهاجمة البساتين الواقعة في محيط المدينة، إلى غاية حلول الخراب التامب حاضرة الدولة السعدية وضيعاتها(دي صالدانيا،2011، ص. 287-288).

وسينتفض الفقراء كذلك ضد السياسة الضريبية المتشددة للسعديين والتي كانت ترهق كاهلهم، بحيث تزايدت جرأة الأهالي المعوزين على رفض أداء الضرائب والغرامات خلال الفترة الأخيرة من الحكم السعدي الذي أضحى في غاية الوهن العسكري، مثلما أصبحوا يتطاولون على حملات الجباية ويهاجمونها كما حصل مع القائد المسعود الذي ذهب لاستخلاص الضرائب من منطقة السراغنة، غير أن أهلها هاجموه وقتلوه(دي صالدانيا،2011، ص. 288). لتعم بذلك مظاهر الثورة والتمرد في معظم أنحاء البلاد التي ستمهد لنهاية الدولة السعدية (دي صالدانيا، 2011، ص. 282).

خاتمة نتائج الدراسة

في الختام، وبناء على ما سبق، فبعد دراسة متأنية لطبيعة العلاقات والروابط التي جمعت ما بين الفقراء والمهمشين داخل المجتمع المغربي خلال الفترة السعدية ما بين 1510م-16569م، يمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

- يتضح بجلاء سوء العلاقة التي ربطت بين السلطة السعدية وفئة الفقراء على الرغم من شساعة قاعدتهم الاجتماعية، وذلك على طول فترة حكم معظم أمراء هذه الدولة، نظرا لضعف الاهتمام الذي خصص لهذه الفئة، وحجم الاستغلال الذي تعرضت له من قبل هؤلاء سواء عبر الضرائب المجحفة أو أعمال السخرة وغيرها من أساليب القهر والظلم.

- تسليط الدولة السعدية مختلف أنواع الإقصاء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على فقراء المجتمع في جل أنحاء البلاد، وذلك رغم أدوارهم الحيوية والمتعددة داخل المجتمع، مما ساهم في ركود أحوالها وتزايد أعداد المنتسبين إليها، خصوصا خلال بداية الدعوة السياسية والفترة الأخيرة من الحكم السعدي.

- كان لتهميش فئات الفقراء ونكران فاعليتها من لدن السلطة السعدية دور في اضطراب الأمن وانفلات الأوضاع السياسية خلال فترات خمول الدولة السعدية، حيث سيجعل هذا التهميش طبقة الفقراء مستعدة للثورة والتمرد ضد أوضاعها المزرية في وجه السلطة عند أية فرصة سانحة، وهو ما سيجلب الفوضى وانعدام الاستقرار إلى البلاد لفتترات متقطعة أو مستمرة لاسيما بعد زوال هيبة دولة أحمد المنصور الذهبي القوية مع اندلاع الصراع على الحكم بين أبنائه إثر وفاته مباشرة، الشيء الذي سرعان ما سينقلب بالسوء على الوضع العام للمغرب وعلى جميع الطبقات الاجتماعية بعد تحول البلاد إلى حالة عامة من الثورة المدمرة التي ستعجل بنهاية الدولة السعدية مع استمرار الحرب الأهلية بين أبناء المنصور وظهور طلاب آخرين للسلطة سوف ينجحون في استقطاب الفقراء المتعطشين لتحسين أوضاعهم بناء على شعارات التغيير التي رفعها هؤلاء.

أما فيما يخص التوصيات التي يمكن تبنيها انطلاقا من خلاصات هذا البحث، فتتمثل فيما يلي:

- ضرورة سد النقص الذي لا يزال يعاني منه تاريخ المغرب الحديث في مجال الأبحاث على مستوى تاريخ المهمشين، خصوصا الأبحاث التي تعنى بمجموعة من فئات المهمشين والعوام مثل الفقراء والمعاقين واللصوص أو غيرهم، مما سيسمح بالاطلاع على أوضاع هذه العناصر التي غاب ذكرها في المصادر التقليدية أو تم التحيز ضدها وضد أدوارها.

- أهمية إعادة قراءة مجموعة من المحطات التاريخية المهمة في ماضي المغرب بفضل التوجه نحو مواضيع التاريخ الاجتماعي، والكشف عن العديد من الثغرات التي سقط فيها التاريخ الرسمي بسبب محاباته للنخب الحاكمة وذوي الجاه من علية المجتمع.

- يتطلب تاريخ المجتمعات العربية والإسلامية بشكل عام المزيد من التمحيص والتدقيق لرصد أحوال الفئات التي تم إقصاؤها من قبل المؤرخين الكلاسيكيين، الشيء الذي سيفتح آفاقا جديدة أمام المؤرخين بإعادة تناول التاريخ العربي والإسلامي بناء على المناهج التاريخية الحديثة من قبيل: تاريخ الهامش أو التاريخ من أسفل أو التاريخ المجهرى أو التاريخ اليومي. بالإضافة إلى استعمال وثائق جديدة وبديلة عن المصادر التقليدية، وفي مقدمتها نصوص الرحلات والنوازل والتراجم. وذلك من أجل تحديث وتطوير البحث التاريخي وإخراجه من دائرة الركود.

قائمة المصادر و المراجع

أولاً: المراجع العربية

1. ابن عسكر، محمد. (1977). *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*. (ط2). محمد حجي (محقق). الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
2. ابن القاضي، أحمد. (1986). *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*. ج 1. محمد مرزوق (محقق). الرباط: مكتبة المعارف.
3. أبو إدريس، إدريس. (2000). *الثابت والمتغير في بنية الدولة المغربية-العهد السعدي، المحمدية: المتقي برينتر*.
4. أبو خليل، شوقي. (1993). *وادي المخازن : معركة الملوك الثلاثة-القصر الكبير*. دمشق: دار الفكر.
5. استيتو، محمد. (1999). *أقوات وتغذية في تاريخ المغرب الحديث، مجلة أمل*.
6. استيتو، محمد. (2006). *الفقراء في المغرب نماذج من القرنين 16 و17م*. الرباط: منشورات الزمن.
7. الإفراني، محمد الصغير. (2004). *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*. عبد المجيد خيالي (محقق). الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي.
8. بن عبود امحمد (1996)، وثائق سيدي علي بن مسعود الجعيدي بالعيون مصدرا لتاريخ تطوان الاجتماعي خلال القرن 17م. *أعمال ندوة تطوان خلال القرنين 16 و17م*. تطوان: مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي،
9. بنعلة، مصطفى. (2007). *تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس*. ج1. الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
10. بنعلة، مصطفى. (1989). *مجموعة وافية من الرسائل السعدية*. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط.
11. بوزيان بنعلي، محمد. (2005). *فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع*. وجدة: مطبعة الجسور.
12. التمنارتي، عبد الرحمان. (2007). *الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة*. اليزيد الراضي (محقق). بيروت: دار الكتب العلمية.
13. حركات، إبراهيم. (1987). *السياسة والمجتمع في العصر السعدي*. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.
14. حركات، إبراهيم. (1987). *المغرب عبر التاريخ*. ج2. (ط2). الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.
15. الحساني، إبراهيم. (1989). *ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي*. عمر آفا (محقق). الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
16. دي صالادانيا، أنطونيو. (2011). *أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب*. إبراهيم بوطالب وعثمان المنصوري ولطفي بوشنتوف (مترجمون). الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.
17. دي طوريس، ديبكو. (1988). *تاريخ الشرفاء*. محمد حجي ومحمد الأخضر (مترجمان). الدار البيضاء: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.
18. دي هنين، خورخي. (1997). *وصف الممالك المغربية 1603-1613م*. ترجمة عبد الواحد أكمبر. الرباط: معهد الدراسات الإفريقية.
19. رزوق، محمد. (1991). *دراسات في تاريخ المغرب*. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.

20. روزنبرجي، برنارو التريكي، حميد. (2010). *المجاعات والأوبئة في المغرب القرنين 16 و17 م*. (ط 2). عبد الرحيم حزل (مترجم). الرباط: منشورات دار الأمان.
21. العبادي، الحسن. (1999). *فقه النوازل في سوس*. أكادير: منشورات كلية الشريعة.
22. العيساوي، فاطمة. (2001). *عن الفقر والفقراء في تاريخ المغرب. وقفات في تاريخ المغرب: دراسات مهداة إلى الأستاذ إبراهيم بوطالب*. عبد المجيد القدوري (محرر). الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ص ص 151-159.
23. الفاسي، محمد العربي. (2008). *مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن*. محمد حمزة الكتاني (محقق). بيروت: دار ابن حزم.
24. القادري، محمد. (1997). *نشر المثنائي لأهل القرن الحادي والثاني*. ج1. محمد حجي وأحمد التوفيق (محققان). الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
25. القبلي، محمد وآخرون. (2011). *تاريخ المغرب تحيين وتركييب*. محمد القبلي (محرر). الرباط: المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب.
26. كربخال (مارمول). (1984). *إفريقيا*. ج2. محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر (مترجمون). الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.
27. كربخال (مارمول). (1984). *إفريقيا*. ج3. محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر (مترجمون). الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.
28. مجهول، مؤرخ. (1994). *تاريخ الدولة السعدية التكمدرتية*. عبد الرحيم بنحادة (محقق). مراكش: دار تينمل للطباعة والنشر.
29. المنصوري، عثمان. (1989). *تأثير الحروب والكوارث على النشاط التجاري بمغرب القرن السادس عشر. أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالدولة والمجتمع عبر تاريخ المغرب*. ج2. عمر آفا (محرر). الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية-عين الشق. ص ص 167-175.
30. الناصري، أحمد. *الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*. ج5. أحمد الناصري (محقق). الرباط: منشورات وزارة الثقافة والاتصال.
31. الوزان، الحسن، (1983). *وصف إفريقيا*. ج1. محمد حجي ومحمد الأخضر (مترجمان). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1. BEN ALI, Driss. (1983). *Le Maroc Précapitaliste: Formation économique et sociale*. Rabat: Société Marocaine des Editeurs Réunis.
2. CAILLE, Jacques. (1963). *Ambassades et missions marocaines aux Pays-Bas à l'époque des sultans saadiens, Hespéris-Tamuda*, (Vol. IV, Fasc. 1-2). pp. 5-67.
3. DE CASTRIES, Henry. (1906). *Les Sources Inédites de l'histoire du Maroc, 1ère série - Dynastie Saadienne, Archives et bibliothèques des Pays-Bas*. Tome I. Paris: Ernest Leroux.
4. RIVET, Daniel. (2012). *Histoire du Maroc*. Paris: Editions Fayard.
5. RICARD, Robert. (1957). *Le Maroc à La fin de XVIe siècle d'après la Jornada de Mendoça*. *Hespéris*. (Tome XLIV, 3e et 4e Trimestres) 1957, pp. 179-204.